

معاني الكلمات :

الرشد : الحق والصواب .

جد ربنا : جلاله أو سلطانه .

سفيها : جاهلنا .

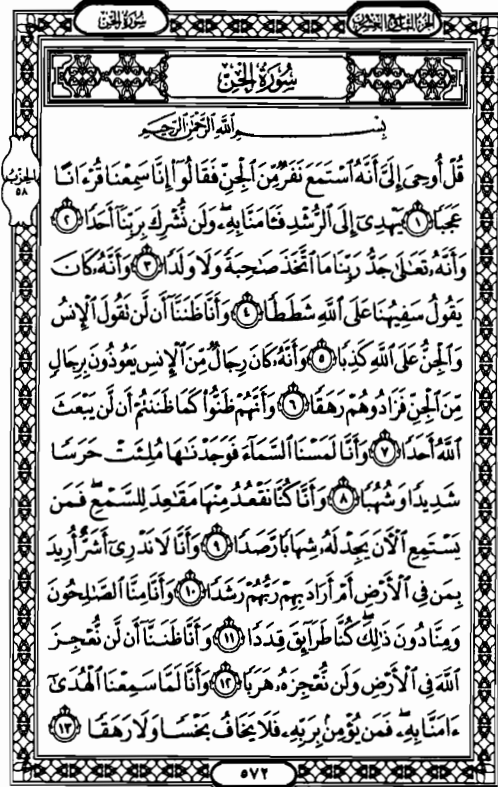
شططا : قولاً بعيداً عن الحق .

يعوذون : يستجيرون .

رهقا : إثماً أو طغيانا وسفها .

شهباً : شعل نار تنقض فتحرقهم .

طرائق قدا : فرقا مختلفة .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نتعرف على تأثير القرآن الكريم وبعض صفاته .

٢ - أن نتعرف على عالم الجن وحقيقته .

٣ - أن نستشعر أن صاحب القدرة المطلقة والإرادة الكاملة هو الله - عز وجل .

المحتوى التربوي :

السورة التي بين أيدينا تساهم مساهمة كبيرة في إنشاء التصور الإسلامي عن حقيقة الألوهية، وحقيقة العبودية ، ثم عن هذا الكون وخلائقه والصلة بين هذه الخلائق المتنوعة ، وهذا الافتتاح يدل على أن معرفة النبي ﷺ بأمر استماع الجن له ، وما كان منهم بعد أن سمعوا القرآن منه ، كانت بوحى من الله سبحانه إليه ، وإخباراً عن أمر وقع ولم يعلم به الرسول ﷺ ، ولكن الله أطلعه عليه ، وقد تكون هذه هي المرة الأولى ، ثم كانت هناك مرة أو مرات أخر قرأ النبي فيها على الجن عن علم وقصد .

وهذه الآيات تنبئ عن وهلة المفاجأة بهذا القرآن للجن ، مفاجأة أطارت تماسكهم ، وزلزلت قلوبهم، وهزت مشاعرهم، وأطلقت في كيانهم دفعة عنيفة من التأثير امتلاً بها كيانهم كله وفاض،

فانطلقوا إلى قومهم بنفوس محتشة مملوءة فائدة بها لا تملك له دفعا ، ولا تملك عليه صبرا قبل أن تفيضه على الآخرين في هذا الأسلوب النابض بالحرارة والانفعال ، وأول ما بدهم منه أنه عجب غير مألوف ، ثم أنه يهدى إلى الهدى والحق والصواب وهؤلاء هم الجن نراهم مبهورين بالقرآن مسحورين متأثرين أشد التأثير ، متفعلين أشد الانفعال ، يعرفون الحق فيستجيبون له مدعنين معلنين هذا الإذعان ، غير منكرين لما مس نفوسهم منه ولا معاندين كما كان المشركون يفعلون والجن أعلن إيمانه خالصا صريحا صحيحا غير مشوب بشرك .

والجد : الحظ والنصيب ، وهو القدر والمقام ، وهو العظمة والسلطان ، والمعنى في الآية هو التعبير عن الشعور باستعلاء الله - سبحانه ، وبعظمته وجلاله عن أن يتخذ صاحبة - أى زوجة - وولداً بنين أو بنات ، وكانت العرب تزعم أن الملائكة بنات الله ، جاءت من صهر مع الجن ، فجاءت الجن تكذب هذه الخرافة ، وتأتى المراجعة من الجن لما كانوا يسمعون من سفهائهم من الشرك بالله ، وادعاء صاحبة الولد والشريك ، بعد ما تبين لهم من سماع القرآن أنه لم يكن حقا ولا صوابا ، وأن قائله إذن سفهاء فيهم خرق وجهل ، وهم يعللون تصديقهم لهؤلاء السفهاء من قبل بأنهم كانوا لا يتصورون أن أحداً يمكن أن يكذب على الله من الإنس أو الجن ، وهذا الشعور من هؤلاء النفر بنكارة الكذب على الله هو الذى أهلهم للإيمان ، فهو دلالة على أن قلوبهم نظيفة مستقيمة .

وتأتى إشارة من الجن إلى ما كان متعارفاً في الجاهلية - وما يزال متعارفاً إلى اليوم في بيئات كثيرة - من أن للجن سلطانا على الأرض وعلى الناس ، وأن لهم قدرة على النفع والضرر ، وأنهم محكمون في مناطق من الأرض أو البحر أو الجو إلى آخر هذه التصورات ، مما كان يقتضى القوم إذا باتوا في فلاة أو مكان موحش أن يستعيذوا بسيد الوادى من سفهاء قومه ، ثم يبيتون بعد ذلك آمنين ، والشیطان مسلط على قلوب بنى آدم إلا من اعتصم بالله فهو في نجوة منه ، وأما من يركن إليه فهو لا ينفعه فهو له عدو ، إنما يرهقه ويؤذيه ، ولعل هذا الرهق هو الضلال والقلق والحيرة ، والقلب البشرى حين يلجأ إلى غير الله ، طمعا في نفع أو دفعا لضر لا يناله إلا القلق والحيرة وقلة الاستقرار والطمأنينة .

ويتحدثون إلى قومهم عن أولئك الرجال من الإنس الذين كانوا يعوذون برجال من الجن ، يقولون : إنهم كانوا يظنون - كما أنكم تظنون - أن الله لن يبعث رسولا ، ولكن ها هو ذا قد بعث رسولا بهذا القرآن الذى يهدى إلى الرشد ، أو أنهم ظنوا أنه لن يكون هناك بعث ولا حساب - كما ظننتم - فلم يعملوا للأخرة شيئا ، وكذبوا ما وعدهم الرسول ﷺ من أمرها ؛ لأنهم كانوا لا يعتقدون من قبل فيها ، وهؤلاء النفر من الجن يصححون لقومهم ظنهم ، والقرآن في حكايتهم عنهم يصحح للمشركين أوهامهم .

ويمضى الجن في حكاية ما لقوه وما عرفوه من شأن هذه الرسالة في جنبات الكون ، وفي أحوال السماء والأرض ، لينفضوا أيديهم من كل محاولة لا تتفق مع إرادة الله بهذه الرسالة ، ومن

كل ادعاء بمعرفة الغيب ، ومن كل قدرة على شئ من هذا الأمر ، وهم يقولون : إن استراق السمع لم يعد ممكنا ، وأنهم حين حاولوه الآن بلمس السماء وجدوا الطريق إليه محروسا بحرس شديد ، يرجهم بالشهب ، فتنقض عليهم وتقتل من توجه إليه منهم ، ويعلنون أنهم لا يدرون شيئا عن الغيب المقدر للبشر فهذا الغيب موكل لعلم الله لا يعلمه سواه ، فأما نحن فلا نعلم ماذا قدر الله لعباده في الأرض : قدر أن ينزل بهم الشر ، فهم متركون للضلال أم قدر لهم الرشد وهو الهداية ، وقد جعلوها مقابلة للشر ، فهي الخير وعاقبتها هي الخير ، وإذا كان المصدر الذي يزعم الكهان أنهم يستقون منه معلوماتهم عن الغيب ، يقرر أنه هو لا يدري عن ذلك شيئا فقد انقطع كل قول وبطل كل زعم ، وانتهى أمر الكهانة والعرافة .

بعد ذلك أخذ الجن يصفون حالهم وموقفهم من هدى الله ؛ بما نفهم منه أن لهم طبيعة مزدوجة كطبيعة الإنسان في الاستعداد للهدى والضلال ، ويحدثنا هذا النفر عن عقيدتهم في ربهم وقد آمنوا به ، وهذا التقرير من الجن بأن منهم صالحين ، مسلمين وقاسطين ، يفيد ازدواج طبيعة الجن ، واستعدادهم للخير والشر كالإنسان ، وهو تقرير ذو أهمية بالغة في تصحيح تصورنا العام عن هذا الخلق ، وهذا النفر من الجن يقول : منا الصالحون ومنا غير الصالحين ، ويصف حالهم بصفة عامة بأنهم كانوا طرائق مختلفة وآراء متفرقة .

ثم بين النفر معتقدهم الخاص بعد إيمانهم ؛ فهم يعرفون قدرة الله عليهم في الأرض ، ويعرفون عجزهم عن الهرب من سلطانه - سبحانه - والإفلات من قبضته ، والفكاك من قدره ، فلا هم يعجزون الله وهم في الأرض ولا هم يعجزونه بالهرب منها ، وهو ضعف العبد أمام الرب ، وضعف الخلق أمام الخالق ، والشعور بسلطان الله القاهر ، فهم يصححون لا لقومهم بل للمشركين كذلك حقيقة القوة الواحدة الغالبة على هذا الكون ومن فيه .

ثم يصفون حالهم عندما سمعوا الهدى بأنهم آمنوا ، ثم يقررون ثقتهم بربهم ، وهي ثقة المؤمن في مولاه ، فالله - سبحانه عادل ولن يبخس المؤمن حقه ، ولن يرهقه بما فوق طاقته ، فالله سيحمي عبده المؤمن من البخس ، وهو نقص الاستحقاق إطلاقاً ، ومن الرهق وهو الجهد والمشقة فوق الطاقة ، ومن ذا الذي يملك أن يبخس المؤمن أو يرهقه وهو في حماية الله ورعايته ؟ ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - من صفات الجن أنهم ضالون مضلون منهم الأبرياء القابلون للهدى والإيمان .
- ٢ - من صفات الجن أنهم لا ينفعون الإنس بشئ حين يستجيرون بهم ، وأنهم لا يعلمون الغيب ، ولم تعد لهم صلة بالسماء .
- ٣ - أنهم لا قوة لهم مع قوة الله فلا يستطيعون نفعاً ولا ضرراً إلا بإذن الله ، وهم حقيقة موجودة ، فعلا لا يجوز إنكارها .

معاني الكلمات :

- القاسطون : الجاثرون عن الحق .
 تحروا ورشداً : قصدوا خيراً وصلاحاً .
 الطريقة : ملة الإسلام .
 غداً : كثيراً يتسع به العيش .
 صعدا : شاقا يعلوه ويغلبه .
 لبدا : يركب بعضهم بعضاً من شدة
 الازدحام .
 ملتجداً : ملجأ أو حرزاً أركن إليه .
 أمداً : زماناً بعيداً .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نستشعر الارتباط بين استقامة الأمم والجماعات على الطريقة الواصلة إلى الله ، وبين إغداق الرخاء .
- ٢ - أن نعلم أن الرخاء ابتلاء من الله لعباده وفتنة ، وأن الإعراض عن ذكر الله مؤد إلى العذاب .
- ٣ - أن نعلم أن المسلم لا مفر له من التبليغ ، فهو مطالب به من الله - تعالى .

المحتوى التربوي :

يقرر النفر المؤمن من الجن تصورهم لحقيقة الهدى والضلال والجزاء على الهدى والضلال ، والقاسطون : الجاثرون المجانبون للعدل والصلاح ، وقد جعلهم هذا النفر من الجن فريقاً يقابل المسلمين ، فالمسلم عادل مصلح يقابله القاسط : الجائر المفسد ، والاهتداء إلى الإسلام معناه الدقة في طلب الرشd والاهتداء ، ومعناه أنهم وصلوا فعلاً إلى الصواب حين اختاروا الإسلام ، وأما القاسطون فقد تقرر أمرهم وانتهى إلى أن يكونوا خطباء لجهنم ، تلتظي بهم وتزداد اشتعالاً ، كما تلتظي النار بالخطب ، ثم يقول الله - سبحانه إنه كان من مقالة الجن عنا ما فحواه أن الناس لو

استقاموا على الطريقة ، أو أن القاسطين لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم نحن ماء موفورا نغدقه عليهم ، فيفيض عليهم بالرزق والرخاء لنبتليهم أشكرون ، أم يكفرون .

وهذه اللفتة تحتوى جملة حقائق ، تدخل في تكوين عقيدة المؤمن ، وتصوره عن مجريات الأمور وارتباطاتها :

الحقيقة الأولى : هي الارتباط بين استقامة الأمم والجماعات على الطريقة الواحدة الواصلة إلى الله ، وبين إغداق الرخاء وأسبابه ، وأول أسبابه توافر الماء واغداقه .

والحقيقة الثانية : هي أن الرخاء ابتلاء من الله للعباد وفتنة ، ﴿ وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْحَرِّ فَتْنَةً ﴾ (الأنبياء : ٣٥) ، والصبر على الرخاء والقيام بواجب الشكر والإحسان فيه أشق وأندر من الصبر على الشدة .

والحقيقة الثالثة : إن الإعراض عن ذكر الله الذي قد تنتهى إليه فتنة الابتلاء بالرخاء مؤد إلى عذاب الله ، والنص يذكر صفة للعذاب بأنه عذاب شاق شديد موجه مؤلم ، وقد درج القرآن على الرمز للمشفقة بالتصعيد .

ثم تعلن الآيات بأن مواضع السجود وهي المساجد لا تكون إلا لله ، فهناك يكون التوحيد الخالص ، ويتوارى كل ظل لكل أحد ، ولكل قيمة ولكل اعتبار ، وقد كان مشركو العرب الذين كانوا يتجمعون فئات حول رسول الله ﷺ ، أو وهو يصلى وهو يتلو القرآن - يستمعون في دهش ولا يستجيبون ، أو هم يتجمعون لإيقاع الأذى به ، ثم يعصمه الله منهم كما وقع ذلك مراراً ، أو أن الازدحام كان من الجن حين سمعوا القرآن وقد أخذوا به ودهشوا ، وتكأأوا على رسول الله ﷺ بعضهم لصق بعض ، ولعل هذا هو الأقرب لمدلول الآية .

ثم يتوجه الخطاب إلى الرسول ﷺ في إيقاعات جادة صارمة حاسمة ، بالتبليغ ، والتجرد من هذا الأمر كله بعد التبليغ ، والتجرد كذلك من كل دعوى في الغيب ، أو في حظوظ الناس ومقاديرهم ، وبأن يقول لهم : إنما أعبد ربى وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه ، وأنا بشر مثكلم يوحى إلى ، وعبد من عباد الله ليس إلى من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم ، بل المرجع في ذلك كله إلى الله - عز وجل ، ولو عصيته فإنه لا يقدر أحد على إنقاذه من عذابه ، ولن أجد من دونه نصيراً ولا ملجأ ، ولن يخلصنى إلا إبلاغى الرسالة التى أوجب أداءها على ، فهذا هو الملجأ الوحيد ، وهذه هي الإجارة المأمونة ، إن الأمر ليس أمرى ، وليس لى فيه شيء إلا التبليغ ، ولا مفر لى من هذا التبليغ ، فأنا مطلوب به من الله ، ويأتى التهديد لمن يبلغه الأمر ثم يعصى بالعذاب الذى إذا رآه العاصى علم القوى من الضعيف .

يقول صاحب الظلال عن الدعوة : « إنها ليست تطوعاً يتقدم به صاحب الدعوة ، إنما هو التكليف ؛ التكليف الصارم الجازم الذى لا مفر من أدائه ، فالله من ورائه ، وإنها ليست اللذة الذاتية في حل الهدى والخير للناس ، إنما هو الأمر العلوى الذى لا يمكن التغلث عنه ولا التردد فيه وهكذا يتبين أمر الدعوة ويتحدد ، إنها تكليف وواجب ، وراءه الهول ، ووراء الجدة ، ووراء الكبير المتعال » .

ثم يؤمر الرسول ﷺ أن يتجرد وينفض يديه من أمر الغيب أيضا ، فالدعوة ليست من أمره ، وليس له فيها شيء إلا أن يبلغها قياما بالتكليف ، والتجاء بنفسه إلى منطقة الأمان الذي لا يبلغه إلا أن يبلغ ويؤدي ، وإن ما يوعدونه على العصيان والتكذيب هو كذلك من أمر الله ، وليس له فيه يد ، ولا يعلم له موعداً ، فما يدرى أقرب هو ، أم بعيد يجعل الله له أمداً ممتداً ، سواء عذاب الدنيا ، أو عذاب الآخرة ، فكله غيب في علم الله ، وليس للنبي من أمره شيء ، ولا حتى علم مواعده متى يكون ، والله - سبحانه هو المختص بالغيب دون العالمين .

هناك فقط استثناء واحد ، وهو ما يأذن به الله من الغيب ، فيطلع عليه رسله في حدود ما يعاونهم على تبليغ دعوتهم إلى الناس ، فما كان ما يوحى به إليهم إلا غيباً من غيبه يكشفه لهم في حينه ويكشفه لهم بقدر ، ويرعاهم وهم يبلغونه ، ويراقبهم كذلك ، والرسل الذين يرتضيههم الله لتبليغ دعوتهم يطلعهم على جانب من غيبهم .

هذا هو الوحي : موضوعه ، وطريقته ، والملائكة الذين يحملونه ، ومصدره ، وحفظه في اللوح المحفوظ .. إلى آخر ما يتعلق بموضوع رسالتهم مما كان في ضمير الغيب لا يعلمه أحد منهم ، وفي الوقت ذاته يحيط هؤلاء الرسل بالأرصاء والحراس من الحفظة ، للحفظ والرقابة ، يحمونهم من وسوسة الشيطان ونزغه ، ومن وسوسة النفس وتمنياتها ، ومن الضعف البشري في أمر الرسالة ، ومن النسيان ، أو الانحراف ، ومن سائر ما يعترض البشر من النقص والضعف .

والتعبير بصور الرقابة الدائمة الكاملة للرسول ، وهو يؤدي هذا الأمر العظيم ، والله يعلم ويريد أن يتعلق علمه بالبلاغ في عالم الواقع أيضا ، وما من شيء في نفوسهم وفي حياتهم ومن حولهم ، إلا وهو في قبضته العلم لا يند منه شيء ، ولا يقتصر على ما لدى الرسل ، بل يحيط بكل شيء إحصاء وعدا ، . وتصور هذه الحال والرسول محوط بالحراس والأرصاء ، وعلم الله على كل ما لديه وكل ما حوله ، وهو يتلقى التكليف جنديا لا يملك إلا أن يؤدي ، ويمضي في طريقه ليس متروكا لنفسه ، ولا متروكا لضعفه ، ولا متروكا لهواه ، ولا متروكا لما يحبه ويرضاه ، إنما هو الجد الصارم والرقابة الدقيقة ، وهو يعلم هذا ويستقيم في طريقه ولا يتلفت هنا ، أو هناك ، فهو يعلم ماذا حوله من الحرس والرصد ، ويعلم ما هو مسلط عليه من علم وكشف حتى يتدبر المسلم أمره ، ويسير على درب نبيه في حل أمانة التبليغ .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - الشهادة بوحداية الله وقدرته ، وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ؛ لأنه خالق الكون كله .

٢ - الغيب المطلق لله وحده لا يطلع عليه أحداً من عباده إلا ما يؤيد به بعض الرسل من معجزات .

٣ - الإنسان في هذه الأرض ليس بمعزل عن الخلائق ، فهو ليس الساكن الوحيد في هذا الكون .